**الأستاذ المسؤول عن المقياس : الأستاذة بن عيسى خيرة .**

**مقياس : الفلسفة السياسية / مادة اختيارية .**

**المستوى السنة الثالثة : LMD s5**

**المحاضرة الثالثة :** الفلسفة السياسية عند الفارابي .

يعتبر الفارابي أحد أهم الفلاسفة المسلمين الذين حاولوا تقديم نظرية سياسية حول الدولة ، بغرض تحديد العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، وتصنيف الواجبات والحقوق وتحديد مفهوم السلطة والقانون ، والغاية من ذلك كله هي وضع نموذج مثالي للمدينة / الدولة يتجه نحو "تحقيق السعادة" في المجتمع المدني على حد تعبير الفارابي .

وقد كان منهج الفارابي في ذلك صياغة نظرية في المدينة من خلال وضع مجموعة من التصورات الفلسفية ضمن أهم كتبه المشهورة ، منها تحصيل السعادة ، السياسة المدنية ، وكتاب آراء أهل المدينة الفاضلة ، ويعد هذا الكتاب الأخير ثمرة آرائه السياسية التي تميز بها.

كما يتضمن الكتاب إضافة إلى ذلك طبيعة المرجعية التي اعتمد عليها الفيلسوف ، وهي الفلسفة اليونانية خاصة الأفلاطونية منها ، والمرجعية الدينية متمثلة في الشريعة الإسلامية التي أفضت به إلى وضع تصور جديد حول المدينة ، وهو ما سنبينه فيما يلي :

يقسم الفارابي كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة إلى قسمين ، الأول يتناول فيه جانبا من فلسفته الإلهية ، فيتكلم عن الله وصفاته ، ثم صدور الكائنات عن المبدأ الأول ، وعن الإنسان .

أما القسم الثاني فقد خصصه للجانب السياسي ، و هو الذي سنعتمد عليه في الكلام عن المدينة الفاضلة ومقومات الحكم وخصال الرئيس عند الفارابي .

يبدأ هذا الفيلسوف بالكلام عن ضرورة الاجتماع البشري ، وأنواع الاجتماعات ، ثم يُعيّن خصال الرّئيس الذي يحكم المدينة الفاضلة ، كما يتكلم عن طبيعة هذه المدينة ومضاداتها وطبائع أفراد كل منها ، وهذه العناصر التي أشرت إليها هي على نحو العموم وليس التفصيل لتضمن بعض العناوين لبعضها البعض .

1/ الاجتماع البشري : يتكلم الفارابي على هذه الجزئية أي الاجتماع البشري قبل الكلام عن المدينة والحاكم وشروط السلطة ، لأن الاجتماع ضروري لقيام أي هيئة سياسية ، ولأن "الإنسان مدني بطبعه" ، فلا يمكنه أن يلبي حاجاته بمفرده ، لذلك هو محتاج بالطبيعة إلى غيره ، إذ بالاجتماع يحقق وجوده و كماله الذي يتجه نحو تحقيق المدينة / الدولة .

أي أن تحصيل البشر لكمالاتهم يكون بالاجتماع ، وأن ذلك موجود بالفطرة الطبيعية وهو ما يبرر استمرار النوع البشري ، إذ وجود الحاجات بين البشرية والتعاون القائم بينهم هو الذي أدى في تصور الفارابي إلى قيام الاجتماعات البشرية السياسية ؛ أي المدن /الدول ، و التي هي أصناف وأنواع حسب طبائع رؤسائها وأفرادها ، منها الكاملة ومنها غير الكاملة ، أو كما يقول :"منها الكاملة ومنها غير الكاملة ، والكاملة ثلاث : عظمى ووسطى وصغرى...وغير الكاملة اجتماع أهل القرية واجتماع أهل المحلة ثم اجتماع في سكة ثم اجتماع في منـزل " ( آراء أهل المدينة الفاضلة ).

أما المجتمع غير الكامل : هو العاجز عن تحقيق التعاون والاكتفاء الذاتي ، في حين أن الكامل يسوده التعاون بين جميع أفراده ، وأكمل أنواعه هو المدينة التي تكون فاضلة إذا كان التعاون بين أفرادها على الأشياء التي تُنال بها السعادة الحقّة ، فما هي هذه المدينة عند الفارابي ؟

2/المدينة : هي المجتمع القائم على التعاون بين أفراده ، تعاونا يحقق التكامل من حيث تلبية الحاجات المتبادلة بين الجميع ، وتكون المدينة فاضلة إذا كانت غاية الاجتماع فيها بلوغ السعادة الحقّة ، لذلك لا يمكن أن يتحقق الكمال والخير في المجتمعات غير الكاملة ، ومنه فالمدينة الفاضلة هي :" المدينة التي يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الأشياء التي تنال بها السعادة ، في الحقيقة هي المدينة الفاضلة " (آراء أهل المدينة الفاضلة) .

ومنه يشبه الفارابي المدينة بالجسم الكامل المتناسق في أعضائه ، وفي خدمة كل واحد من تلك الأعضاء للآخر، وعلو بعضها على البعض ، كذلك المدينة لا تكون فاضلة كاملة إلا على هذا المنوال : فكما يكون القلب عضوا رئيسيا في الجسم و تكون في المرتبة الثانية أعضاء أخرى في خدمة العضو الرئيسي ، وأعضاء أخرى في المرتبة الثالثة ، وهكذا وصولا إلى الأعضاء التي هي في المرتبة الأخيرة " تخدم ولا ترأَس أصلا" .

وكما أن أعضاء الجسم تتعاون فيما بينها ويخدم بعضها الآخر لتحقيق سلامة الكائن الحي واستمراره ، كذلك المدينة الفاضلة كيان متكامل متدرج في مقوماته من الأعلى إلى الأدنى ، أي من الحاكم إلى المحكوم .

أما القلب في المدينة هو الرئيس (الحاكم) أعلى عضو ، وظيفته أشرف وظيفة ، تتحقق فيه مبادئ الكمال والحكمة ، وأما الأعضاء فهي الهيئة المأمورة بأمر الرئيس ، وهي في خدمته في المرتبة الثانية ، ثم تليهم فئة من هم في المرتبة الثالثة و هم في خدمة المرتبة الثانية ، وهكذا وصولا إلى أدنى المراتب ، وهم " الأسفلين " كما يقول الفارابي .

إن كيان المدينة متماثل مع الجسم ، مع اختلاف : من حيث أن أعمال الأعضاء في الجسم قائمة على الطبيعة ، في حين أن عمل أعضاء المدينة قائم على الإرادة ، " ...والقوى التي هي أعضاء البدن بالطبع فإن نظائرها في أجزاء المدينة ملكات وهيئات إدارية "( آراء أهل المدينة الفاضلة) ، ومن هذا المنطلق يشرع الفارابي في الكلام عن الرئيس .

3/ الرئيس /الحاكم وخصاله في المدينة الفاضلة :

يؤسس الفارابي تصوراته حول الرئيس انطلاقا من التشبيه السابق بين الجسم و المدينة ، وكما أشرنا أن أعلى الأعضاء في الجسم هو القلب ، كذلك أعلى عضو في المدينة هو الرئيس، ومنه فالرياسة تقتضي أمرين أساسيين : "أن يكون مُعَّدًا بالفطرة للرياسة ، وأن تكون له الرياسة بالملكة والهيئة الإرادية " ، ومنه تكون الرياسة أشرف الصناعات وأعلاها ، إذ تتحقق في ممتهنها الكمالات كلها ، فيكون بذلك عقلا مستفادا في مرتبة وسط بين العقل الهيولاني وهو العقل الموجود بالقوة (الفطرة) عند جميع البشر ، ويتضمن الإمكانية على التفكير . وبين العقل الفعال الذي هو أشرف العقول وأرقاها .

إن العقل المستفاد عقل بالفعل ملكة وسط تستمد المعرفة والعلوم (الحكمة النظرية) من العقل الفعال .

ويمكن أن نفهم هذا التصور الأخير أكثر من خلال خصال الرئيس الذي يجب أن تجتمع فيه اثنتا عشرة خصلة تكون موجودة فيه بالفطرة وهي : " أن يكون تام الأعضاء ، جيد الفهم والتصور ، جيد الحفظ ، جيد الفطنة ، حسن العبارة ، محبا للتعليم والاستفادة ، غير شره ، محبا للصدق وأهله ، كريم النفس ، لا يهتم بالدرهم وأعراض الدنيا ، محبا للعدل ومبغضا للظلم ، قوي العزيمة " ( أراء أهل المدينة الفاضلة ) .

إن هذه الخصال فيما يقول الفارابي نادرا ما تحصل في شخص واحد ، وإذا حصلت فإن شرائع هذا الرئيس التي شرعها في المدينة تؤخذ وتشرع من الحاكم الذي يخلفه ، وهذا الأخير يجب أن تتوفر فيه شروط كذلك ، وهي : " أن يكون حكيما ، أن يكون عالما حافظا للشرائع والسنن والسير التي دبرها الأولون للمدينة ، أن يكون له جودة استنباط فيما لم يحفظ في شريعة ، أن تكون له جودة رؤية وقوة استنباط ، أن يكون له جودة إرشاد بالقول إلى شرائع لأولين ، أن يكون له جودة ثبات ببدنه لمباشرة أعمال الحرب " (آراء أهل المدينة الفاضلة ) .

فهذه الخصال الستة إذا اشتركت في واحد كان هو الرئيس ، أما إذا تفرقت بين أفراد اختص كل واحد منهم بخصلة من هذه الخصال الستة كانوا هم الرؤساء ، بشرط توفر الخصلة الأولى دائما أي الحكمة ، أما إذا لم تتوفر هذه الشروط في شخص أو أشخاص فذلك هلاك الدولة ولن تلبث طويلا .

نخلص مما سبق إلى أن : تحقق هذه الشروط وعلى رأسها الحكمة يؤدي إلى تحقق المدينة الفاضلة ، وبذلك يبلغ الاجتماع البشري السعادة ، أما إذا اختلت هذه الشروط اختل الاجتماع البشري فتظهر مدن أخرى مضادة للمدينة الفاضلة وهو ما سنوضحه في سياق الكلام عن أقسام المدينة .

4/ أقسام المدينة / الدولة : يقسم الفارابي المدن إلى قسمين متضادين القسم الأول هو المدينة الفاضلة ، أما القسم الثاني فهو مضاداتها ، وهذه الأخيرة تنقسم بدورها إلى أربعة أقسام : المدينة الجاهلة ، الفاسقة ، المبتذلة ، الضالة ، وتعريفها على النحو التالي :

\*المدينة الجاهلة : هي مدينة لم يعرف أهلها السعادة ، ولم يحصل فيها التعاون الاجتماعي بالشكل الذي تُبلغ به الكمالات وأفرادها جاهلون لا يعرفون السعادة الحقّة ولا الكمالات الخالصة ، فاعتقدوا أن ما يتمتعون به من صحة ولذة وعظمة هو السعادة ، فهي قائمة على قيم ساذجة سافلة .

وللمدينة الجاهلية هذه أقسام ، أولها المدينة الضرورية التي اهتم أهلها بتلبية ضرورات العيش فقط ، والمدينة البدَّالة غايتها الثروة ، باعتبارها غاية الحياة عند أهلها ، ثم مدينة الخسّة والسقوط وهي التي انهمك أهلها في اللّذات الحسية ، مدينة الكرامة هي مدينة بذلت كل جهدها لقاء مدحها وتعظيمها بين الأمم الأخرى ، مدينة التغلب غرض أهلها تحقيق الغلبة على غيرها ، وأخيرا مدينة الجماعة يمارس كل عضو فيها حريته حسب هواه ورغبته.

أما ملوك هذه المدن فشأنهم شأنها ، وصفات المدن هي خصالهم من لذة ورغبة في التغلب والتسلط وانهماك في الشهوات وغيرها مما ذكرناه أعلاه .

\*المدينة الفاسقة : هي المدينة العارفة لآراء أهل المدينة الفاضلة ، لكنها لا تعمل بما تعرفه فهي فاسقة .

\*المدينة المبدِّلة : هي التي كانت فاضلة لكن اختلت ، فتبدلت آراؤها وأصبحت من المدن الجاهلة .

\*المدينة الضالة : هي التي فسدت آراؤها حول الله والعقل الفعال ، ويدَّعي رئيسها أنه أوحي إليه بُطلانا وبُهتانا .

انطلاقا من هذا التصنيف الذي يضعه الفارابي للمدن وشروط الرئيس يمكن أن نلخص الفلسفة السياسية عنده في النقاط التالية :

- إن الفلسفة السياسية عند الفارابي نابعة من فلسفته الأخلاقية ونظريته حول النفس ، فهو يُنشئ ترابطا وثيقا بين عناصر فلسفته ما يجعلها في تناسق فكري فريد .

أما من ناحية فلسفته الأخلاقية فإنه يجعل غاية الدولة أخلاقية خالصة ، فيحدد أخلاق الرئيس التي هي خصال تتجه كلها نحو مبدأ الكمال ، فتكون المدن كاملة بطباع أفرادها وبخصال رئيسها ، ومن ثمة يسميها فاضلة ، وليس هناك شيء أدل على علاقة الفلسفة السياسية بالأخلاق عند الفارابي من تسمية مدينته بالفاضلة ، ذلك أن الفاضل هو الذي يكون عمله قائما على قيم الفضيلة ذاتها ، وخصاله هي خصال أهل المدينة التي يتكلم عنها في كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة .

يربط الفارابي كذلك تصوراته السياسية بمفهوم السعادة باعتبارها الغاية المنشودة ، وبذلك ينظر للمدينة الفاضلة انطلاقا من المبادئ التي تحقق السعادة للفرد والجماعة على حد السواء ، وأسفر ذلك عن ربط السياسة بفلسفته الإلهية لارتباط هذه الأخيرة بمفهوم السعادة.

إن السعادة المنشودة عند الفارابي ليست سعادة حسية ظرفية مبدأها الفعل أي الجانب العملي ، بل هي سعادة عقلية لا تحصل إلا بتحصيل الحكمة العملية التي هي السلوك والحكمة النظرية التي هي العلوم الحكمية ، وهو ما جعل الفارابي يؤكد على آراء أهل المدينة الفاضلة التي يتعين على الجميع الأخذ بها ، لذلك نجده يعرف العلم المدني في كتابه إحصاء العلوم بقوله :هو علم " يفحص أصناف الأفعال والسير الإرادية وعلى الأخلاق والسجايا والشيم أن تكون موجودة في الإنسان...ويُبيِّن أن منها ما هي في الحقيقة سعادة ، وأن منها ما هي مظنونة أنها سعادة... وأن التي هي في الحقيقة سعادة لا يمكن أن تكون في هذه الحياة ..." (من كتاب السياسة المدنية ص15) .

ولنظريته في النفس كذلك علاقة بفلسفته السياسية ، باعتبار أنها الجزء الأهم في الإنسان ، والأداة التي بها يتم تحصيل السعادة ، لذلك يركز الفارابي على الحكمة العملية التي تُقوِّم النفس وتُقوِّيها لبلوغ السعادة التي هي مُعدَّة لها سلفا بالفطرة ، لذلك كان حصول السعادة متفاوتا ، "وبَيِّنٌ أن السعادة التي تحصل لأهل المدينة تتفاضل بالكميّة والكيفيّة بحسب تفاضل الكمالات التي استفادها من الأفعال المدنيّة وبحسب ذلك تتفاضل اللّذات التي ينالها "( كتاب السياسة المدنية ص 81) .

هذا ويضيف الفارابي أن الالتزام بأداء الواجبات وطاعة الرئيس يقوي الاستعداد الداخلي إلى الكمالات ، أو كما يقول في السياسة المدنية :" فإذا فعل كل واحد من أهل المدينة ما سبيله أن يكون مفوضا إليه ، وذلك إما أن يكون علم ذلك من تلقاء نفسه ، أو يكون الرئيس أرشده إليه وحمله عليه ، أكسبته أفعاله تلك هيئات نفسانية جيدة ،كما أن المداومة على الأفعال الجيدة من أفعال الكتابة تكسب الإنسان جودة صناعة الكتابة "( كتاب السياسة المدنية ص 81) .

أما إذا حصل العكس واتجهت النفوس نحو الجانب الأدنى ولم تُوجِّه استعدادها نحو الكمال ولم تُقوى النفس بأداء الواجبات والالتزام ، فإنه يصيبها المرض ، وقد لا يشعر أهلها بمرضهم كمن تكون به علة ويحسب نفسه سليما ، وفي هذا إشارة إلى أهل المدينة الجاهلة بأنواعها الذين يوجهون استعدادهم نحو رغبات الذات ويعتقدون أنها كمالات وسعادة ، وإلى أهل المدينة الفاضلة الذين يوجهون آراءهم نحو قيم الفضيلة والحكمة ونحو الكمالات الموافقة لاستعدادهم إلى السعادة الحقّة بالفطرة ، "فإذا كانت أفعال أهل مدينة ما غير مسددة نحو السعادة فإنها تكسبهم هيئات رديئة من هيئات النفس...وتصير أنفسهم مرضى..." (كتاب السياسة المدنية ، ص82-83) .